مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 1 Year : 2022

المجلد: 6 العدد: 1 السنة: 2022

في هذا العدد:

- المشترك اللفظي في كلمة (أثر) في القرآن الكريم (دراسة تحليلية دلالية)

  نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار
- حسن التخلص في سورة الحجر، دراسة تحليلية

  سامية بنت عطية الله المعبدي
- معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام عبدالحميد بن باديس "دراسة تحليلية"

  علي بن أحمد الزهراني
- التفريق بين الزوجين للأمراض الحديثة: دراسة فقهية مقارنة بقانون الأحوال الإماراتي

  حمده بالجافلة المنصوري
- قتل الغيلة: حقيقته، وحكم العفو فيه، وموقف قانون العقوبات القطري منه

  راشد محمد طيب العمادي
- نفي العلم بالخلاف عند الأصوليين

  علي بن أحمد بن أحمد الحذيفي
- بناء الحضارات في التشريع الإسلامي

  أروى بنت محمد بن علي العقلا
- الحوارات الدعوية مع المتشككين (دراسة تحليلية)

  سهيل محمد قاسم مينق
- تصور مقترح لأساليب تفعيل الأنشطة التربوية اللاصفية بمدارس إكرام مصلح بماليزيا من وجهة نظر المعلمين

  محمد حامد عليوة، فخر الأدبي بن عبد القادر
- الحداثة وما بعدها من منظور عقدي

  مشاعل بنت خالد باقاسي

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 1, Mar 2022

Ḥusn Al-Takhalluṣ in Surat Al-Ḥijr: An Analytical Study

Samia Atiat Allah Almuabadi
Associate professor In the department of Quran and sunnah at umm Al Qura University.
E-mail: samoabady@uqu.edu.sa

ABSTRACT

The current research deals with one of the rhetorical arts, and one of the methods of the Quran in linking its verses with the scenes of its Surahs, through one of the Quran's surahs to find out the ingenuity of topic or scene shifting (Ḥusn Al-Takhalluṣ) between its verses. This research was entitled (Ḥusn Al-Takhalluṣ in Surat Al-Ḥijr: An Analytical Study). It aimed to highlight one of the aspects of the rhetorical miracle in the Holy Quran, revealing the purposes of coherence and unity between the verses of the Holy Qur'an in Surat Al-Hijr, Coherence and unity between the scenes of the surah with its verses that facilitates their understanding, speculation of their meanings and realization of their purposes. I have adopted the deductive analytical approach. The most prominent findings of this research are the existence topic or scene shifting (Ḥusn Al-Takhalluṣ) along with coherence and unity between the verses of the Holy Quran, rather it is one of the most important methods, and coherence and unity between its various objectives and purposes. It has a great correlation with the science of events. One of the purposes of the topic or scene shifting (Ḥusn Al-Takhalluṣ) along with coherence and unity in Surat Al-Hijr is the establishing the facts with evidence and proof to refute the argument of the unbelievers. The research recommended to pay special attention to study the coherence and unity of the Holy Quran, since it is one of its miraculous aspects, and holding a comparison between the coherence and unity in the Meccan and Medinan Surahs.

Keyword: Al-Takhalluṣ – Coherence and Unity – Al-Hijr – Rhetoric

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية

eISSN: 2600-7096
المجلد6، العدد 1،مارس 2022م

حسن التخلص في سورة الحجر، دراسة تحليلية.

سامية بنت عطية الله المعبدي

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

الملخص

تناول هذا البحث فنا من الفنون البلاغية، وأسلوباً من أساليب القرآن الكريم في الربط بين آياته ومشاهد سوره، من خلال إحدى سور القرآن للوقوف على براعة التخلص بين آياتها، وقد جاء هذا البحث بعنوان (حسن التخلص في سورة الحجر)، ومن أهدافه إبراز إحدى جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، والكشف عن أغراض حسن التخلص في سورة الحجر، والربط بين مشاهد السورة وفقراتها مما يعين على فهم آياتها وتدبر معانيها والعلم بمقاصدها، وقد اتبعت فيه المنهج الاستنباطي التحليلي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث أن حسن التخلص موجود في القرآن الكريم، بل هو أحد أهم الأساليب في الربط بين مقاصده وأغراضه المتنوعة، وله ارتباط وثيق بعلم المناسبات. وأن من أغراض حسن التخلص في سورة الحجر إثبات الحقائق بالدلائل والبراهين وإقامة الحجة على الكافرين. ومما يوصي به هذا البحث العناية بدراسة تخلصات القرآن الكريم التي هي وجها من وجوه إعجازه، والمقارنة بين الانتقالات في السور المكية والمدنية.

الكلمات المفتاحية: التخلص- الانتقال-الحجر -بلاغة.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وبعد، أنزل الله ﷻ القرآن الكريم، وجعله مهيمنا على ما قبله من الكتب، وأودع فيه روائع بيان لا تنقضي، وميزه عن بقية الكتب وشرفه بأن جمع له بين النزولين فأنزله ﷻ جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾[الدخان:3]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [القدر: 1]،ثم أنزله مفرقا على نبيه الكريم ﷺ لحكم جمّة قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣ ﴾ [الإنسان:23]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝١٠٦ ﴾ [الإسراء:106]، ومع نزوله منجما في أحوال وأغراض ومعان مختلفة إلا أن قارئه يلمس الارتباط الوثيق بين آياته وسورة، فيجدها آخذا بعضها برقاب بعض، ملتحمة أجزائها، متسقة معانيها، منتظمة مبانيها. وإن إحدى أسرار ارتباط سور القرآن العظيم وآياته ما امتاز به في خصائص نظمه وطرائق أساليبه، ومنها سلاسة الانتقال من معنى لآخر، ومن غرض إلى غيره دون أن يشعر القارئ بهذا، وهو ما يعرف بحسن التخلص، الذي هو أحد مظاهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. من هنا وقع اختياري على سورة الحجر للوقوف على جماليات التخلص في مشاهد السورة، وحسن التنقل بين آياتها؛ فجاء هذا البحث الموسوم بـ(حسن التخلص في سورة الحجر)

مشكلة البحث: أتت هذه الدراسة جسرا في بيان الترابط بين سياقات آيات سورة الحجر وفقراته بهدف الكشف عن الإعجاز القرآني في ترتيب السورة، وعلاقة الفقرة فيها بما قبلها وما بعدها، وما تحققه من أغراض حين الانتقال من موضوع لآخر ومن معنى إلى غيره.

أهداف البحث:

1- التعريف بسورة الحجر، وذكر مناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور.
2- الكشف عن أغراض حسن التخلص في سورة الحجر.
3- الربط بين مشاهد السورة وفقراتها مما يعين على فهم آياتها وتدبر معانيها والعلم بمقاصدها.
4- إبراز إحدى جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

أهمية البحث: 1- ارتباطه بما أمر الله تعالى به من التدبر للقرآن الكريمقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢ ﴾ [النساء: 82]

2- بيانه أغراض الانتقال من موضوع لآخر بين آيات السورة.

3-الإضافة العلمية للمعارف، وإثراء المكتبة الإسلامية.

منهج البحث: سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستنباطي التحليلي لمناسبته لموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة: 1- دراسة الدكتور زكريا علي محمود الخضر، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة اليرموك، بعنوان (حسن التخلص في سورة النور)، وهذه الدراسة وإن تقاطعت مع هذا البحث في جانب تعريف حسن التخلص وبيان علاقته بالمناسبات إلا أنها تختلف في بقية الجوانب، وفي محل الدراسة؛ إذ تناولت حسن التخلص في سورة النور بينما يتناول هذا البحث حسن التخلص في سورة الحجر.

2- دراسة الباحثين زينب السالم الأستاذ المساعد في قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة المصطفى العالمية، قم، إيران، وسيد مالك زين العابدين الطالب بمرحلة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس فارابي، قم، إيران يعنوان (براعة التخلص في النص القرآني، سورة الكهف أنموذجا)؛ وهذه الدراسة تتقاطع مع البحث في الجانب النظري المتعلق بحسن التخلص، لكنها تختلف في الجانب التطبيقي حيث كانت سورة الكهف هي السورة التي تناولها الباحثان بالدراسة واستنباط حسن التخلص الموجود في قصصها، بينما يتناول هذا البحث حسن التخلص في سورة الحجر.

3- دراسة الدكتور عمر بن عبد العزيز المحمود، الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، بعنوان (جماليات الانتقال والتخلص في جزء عمّ) وهذه الدراسة تختلف تماما عن هذا البحث ولا تتقاطع معه سوى في التمهيد الذي تطرق فيه الباحث للتعريف بحسن التخلص وبداية نشأته، وبين الاختلاف في وقوعه في القرآن الكريم.

4-بحث الدكتورة آلاء أحمد حسن، الأستاذة في جامعة الموصل، كلية الآداب، بعنوان: (مراحل التطور البلاغي والنحوي في البلاغة العربية) "حسن التخلص أنموذجا "، تؤكد فيه على إعجاز القرآن في أسراره اللغوية، وعلى التخلص حصرا.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، كالآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهدافه، وأهمية البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: تعريف حسن التخلص، وبيان علاقته بالمناسبات، والفرق بينه وبين الفنون المقاربة، وأهميته. وفيه خمس مطالب: المطلب الأول: تعريف حسن التخلص لغة واصطلاحا، المطلب الثاني: وجوده في القرآن الكريم، المطلب الثالث: العلاقة بين حسن التخلص والمناسبات، المطلب الرابع: الفرق بين حسن التخلص وما يقاربه من فنون، المطلب الخامس: أهمية حسن التخلص.

المبحث الثاني: بين يدي سورة الحجر، وفيه أربع مطالب؛ المطلب الأول: القول في نزول السورة، المطلب الثاني: أسماء السورة، المطلب الثالث: محور السورة وهدفها، المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المبحث الثالث: أغراض حسن التخلص في سورة الحجر

الخاتمة: وفيها أهم نتائج وتوصيات البحث، تلتها قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول: تعريف حسن التخلص، وبيان علاقته بالمناسبات والفرق بينه وبين الفنون المقاربة، وأهميته.

المطلب الأول: تعريف حسن التخلص لغة واصطلاحا.

لغة: خلص الشيء بالفتح يخلُص خُلوصاً إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم. وخَلَصْتُ إليه: وصلت إليه. وخلّصته من كذا تَخْليصاً، أي نجّيته فتَخَلَّصَ [1] فيلحظ معنى الخروج والوصول إلى الشيء من معنى الكلمة اللغوي وهو ظاهر في معناه الاصطلاحي، إذ التخلص خروج من معنى لآخر ومن غرض لغيره، وهو وصول إلى الغرض الثاني بعد الأول.

تعريفه في الاصطلاح: يعدّ حسن التخلص من فنون الكلام، وهذا الفن "لم يكن متبعا عند شعراء وخطباء العرب القدماء"،[2] إنما ظهر بعد نزول القرآن الكريم، وعنايته بهذا الفن، واستعماله في الانتقال بين المعاني المختلفة، والأغراض المتنوعة. إن الناظر إلى كتب البلاغيين يجدهم قد أطلقوا على هذا الفن عدة مسميات، منها الخروج، حسن الخروج، التخلص، حسن التخلص، براعة التخلص، المخلص، حسن المخالص قال ابن رشيق(ت463هـ): "ومن الناس من يسمي الخروج تخلصا وتوسلا"[3]، ولعل تسميته تخلصا أدق في التعبير من تسميته بالخروج؛ لأن لفظ الخروج أعمّ فهو يشمل التخلص والاستطراد. إن أول من ذكر هذا الفن من البلاغيين ابن المعتز (ت296 هـ)، وعرفه بأنه "حسن الخروج من معنى إلى معنى"، وعدّه من محاسن الكلام. [4]ثم ذكره العسكري (ت 400هـ) بقوله: "الخروج من النسيب إلى المدح وغيره"[5]، ثم تتابع البلاغيون على إيراده في كتبهم. وعرّفوه بأنه "انتقال المتكلم من فنٍ إلى آخر بأحسن أسلوب مع تلطف وحسن تخلص، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الالتئام بينهما كأنهما أُفرغا في قالب واحد"[6]،

---

[1] الخليل بن أحمد، **العين**، ج4، ص186؛ الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج4، ص 64؛ لجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج3، ص1037

[2] حبنكة، عبد الرحمن الميداني، **البلاغة العربية**، ج2، ص561

[3] ابن رشيق، الحسن القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج1، ص236

[4] انظر ابن المعتز، عبد الله بن أحمد، **البديع**، ص75

[5] انظر العسكري، الحسن بن عبد الله، **كناب الصناعتين**، ص513

[6] انظر الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج2، ص609610؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **شرح عقود الجمان**، ص173 174؛ المراغي، أحمد بن مصطفى، **علوم البلاغة**، ص391

وبعبارة أخرى "هو أن ينتقل الشاعر أو الناثر من فنّ من فنون الكلام إلى فنٍّ آخرَ، أو من موضوع إلى موضوع آخرَ بأسلُوبٍ حسَنٍ مستطاب، غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب، وأحسَنُه ما لا يَشعر المتلقّي معه بالانتقال، لما أحدثه التمهيد المتدرّج من تلاؤم، أو لحُسْنِ اختيار المفصل الذي حصل عنده الانتقال، أو لغير ذلك، كاستغلال تقارُب الأشباه والنظائر بَعْضِها من بعض"[7]، يفهم مما سبق أن الانتقال لا يكون من باب حسن التخلص إلا بشرطين، أن يقع الاتصال ويؤمن الانفصال أولا، وتلازم الطرفين ثانيا [8]، أي أن ينتقل المتكلم من غرض لآخر برشاقة ولطفٍ، دون أن يشعر السامع بهذا الانتقال، مع وجود مناسبة دقيقة تصل بين ما انتقل عنه وما انتقل إليه من حيث المعنى. يقول السجلماسي: "ومن شروط هذا النوع لطف التخلص ورشاقته، وشرف التغلغل وفخامته، واستقصاء المعنى وغرابته، وقُرب المقصد ومناسبته، انبساطا روحيا وطربا نفسيا"[9]

أما طريقة القرآن الكريم في التخلص فقد بينها الإمام بدر الدين الزركشي (ت794هـ) بقوله: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ حَيْثُ قَصَدَ التَّخَلُّصَ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّوْطِئَةِ لَهُ وَمِنْ بَدِيعِهِ قَوْلُهُ **تَعَالَى:** ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: 3] يُشِيرُ إِلَى قِصَّةِ يُوسُفَ عليه السلام فَوَطَّأَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ إِلَى ذِكْرِ الْقِصَّةِ، يُشِيرُ إِلَيْهَا بِهَذِهِ النُّكْتَةِ مِنْ بَابِ الْوَحْيِ وَالرَّمْزِ، وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ مُوَطِّئًا لِلتَّخَلُّصِ إِلَى ذِكْرِ مُبْتَدَأِ خَلْقِ الْمَسِيحِ عليه السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[آل عمران:33] " [10]

المطلب الثاني: وجوده في القرآن الكريم

أنكر أبو العلاء محمد بن غانم وجود التخلص في القرآن الكريم حين قال "إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم، وأن ليس في القرآن شيء من حسن التخلص"[11] وتعقّب قول الغانمي الكثير من أهل العلم، مفندين قوله، مثبتين وجود التخلص في القرآن الكريم، ذاكرين شواهده. قال ابن الأثير(ت 637هـ): "وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن

---

[7] حبنكة، عبد الرحمن الميداني، **البلاغة العربية**، ج2، ص561

[8] أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، ص 274

9 السجلماسي، القاسم بن محمد، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، ص472

[10] الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص45

[11] ينظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج2، ص251؛ الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص43؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، ج3، ص373

الكريم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها برقاب بعض"[12]. كذا نجد الزركشي يقرر وجوده في القرآن، ثم يرد على الغانمي قوله، ويدلل لذلك بأحسن الشواهد والأمثلة وأبينها قائلا: "وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن على النوع المسمَّى بالتخلص، وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، وقال: ليس في القرآن منه شيء لما فيه من التكلف، وليس كما قال. ومن أحسن أمثلته قوله تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥ ﴾ [النور:35] فإن فيه خمس تخلصات؛ وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تَخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكِر النور والزيت يستمد منه، ثم تخلص منَه إلى ذكِر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى ذكر الزيت، ثم من ذكِر الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلصَ منه إلى نعمة الله بالهدى على مَنْ يشاء "[13] ثم أخذ يسوق أمثلة كثيرة موضحاً ما فيها من اختلاف الأغراض وحسن الربط بينها. وقال السيوطي (ت911هـ): "وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم في قوله... وليس كما قال، ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول، وانظر إلى سورة الأعراف، كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلاً ودعائه لهم، ولسائر أمته بقوله **تَعَالَىٰ**: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾[الأعراف: 156] وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله ﷻ (قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ) فسأكتبها للذين من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي. وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله"[14]، فمثل هذه الشواهد التي ذكرها العلماء تدل على صحة قولهم بوجوده في القرآن، وتبرهن على أن حسن التخلص

---

12 ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج2، ص251

13 الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص43

14 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، ج3، ص374

أحد أساليب الكتاب العزيز. كذا اعترض البدوي –في كتابه من بلاغة القرآن– على ما قاله الغانمي، واحتج عليه بأمرين، أولهما ما نراه من حسن التناسب وقوة الارتباط بين الآي بعضها وبعض، محققة بذلك هدف القرآن تأثيرا في النفس، فهو يلقي العظة مبيّنا ما في اتباعها من خير، وضاربا المثل من التاريخ على صدق ما ادعى، ومستشهدا بقصص الأولين وآثارهم، ومقنّنا من الأحكام ما فيه خير الإنسانية وكمالها، كل ذلك في تسلسل واطراد وحسن اتساق، ترتبط المعاني بعضها ببعض، ويؤدي بعضها إلى بعض. وفي هذا النهج القرآني وسيلة لتكرير العظات والإنذار والتبشير في صور متعددة مرات عدة، وللتكرير أثره في تثبيت المعنى في النفس، وبلوغ العظة.

وأما ثانيهما فتاريخي يعود إلى ترتيب الرسول ﷺ للقرآن بأمر ربه، فلولا أن رابطا يجمع بين هذه الآيات بعضها وبعض، ما كان ثمة سبب يدفع إلى هذا الوضع ولا يقتضيه، بل لرُتّبت الآي كما نزلت، أما والقرآن قد نزل للناس كافة، وللأجيال جميعها فقد اختار الله لكتابه خير ترتيب يحقق الهدف الذي له نزل الكتاب الحكيم [15]

يقول دراز (ت 1377هـ): ومثل نزول القرآن منجما "كمثل بنيان كان قائما على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرّق أنقاضا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصا يشد بعضه بعضا كهيئته أول مرة"[16]

المطلب الثالث: العلاقة بين حسن التخلص والمناسبات المناسبة علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم، يقول السيوطي في بيان معنى المناسبة: "مَعْنًى رَابِط بَيْنَ الْآيَاتِ عام أو خاص، عقلي، أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"[17]، وفائدة هذا العلم ومقصده "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[18]، يمتاز علم المناسبات بدقته، فهو من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظمه وبيانه المعجز، وإلى معايشة جو التنزيل، لذا قلّ المعتنون به من المفسرين. وأشاد بعض علماء علوم القرآن والتفسير بأهمية التناسب بين الآيات، واعتبروا ذلك علما مستقلا جديرا بالعناية والتأمل، إذ "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول" [19]، قال

---

[15] انظر البدوي، أحمد **البيلي، من بلاغة القرآن،** ص181 182

[16] دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم،** ص188

[17] انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن،** ج3، ص371

[18] الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن،** ج1، ص36؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن،** ج3، ص371

[19] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** ج1، ص35

القاضي أبو بكر بن العربي (ت543هـ): "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة. ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[20]، كذلك نجد أن الإمام الرازي (ت606هـ) قد أولاه عنايته، وأكثر منه في تفسيره إذ يرى أن "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[21] ونلحظ أن حسن التخلص مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم المناسبات، بل هو جزء منه، متصل به اتصال الفرع بأصله من هنا ذكر كنوع من أنواعه [22]، والفرق بينهما أن في المناسبات يكون الارتباط بين الآيات واضحا لتعلق الكلام بعضه ببعض، فتأتي الآية الثانية مفسرة للأولى، أو مؤكدة لها، أو متممة لمعناها أو غير ذلك من العلاقات الظاهرة. ويكون السابق بحاجة إلى اللاحق غير منفكٍ عنه. بينما في حسن التخلص يظهر عدم الارتباط، بحيث يكون كلا من المقطعين ذو فكرة متكاملة، لا تحتاج إلى غيرها لتمام معناها، إلا أنه عند التأمل وإمعان النظر في معنى المقطعين ندرك ما بينهما من اتصال وترابط. يقول ابن أبي الأصبع (ت654هـ): "وهو دقيق يكاد يخفى في غير الشعر إلا على الحاذق من ذوي النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز إذا تُتبّع وُجد، كابتداء فصولٍ نجدها متنافرة في الظاهر لما قبلها من الفواصل أو غيرها، فلا يكاد يجمع بينهما إلا بعد إنعام النظر، وتدقيق الفكر، هذا إذا كنت ممن له دُربة بهذه الصناعة"[23]

المطلب الرابع: الفرق بين حسن التخلص وما يقاربه من فنون. يقرب من حسن التخلص فنونا أخرى يجمع بينها أنها من طرق القرآن الكريم في الانتقال من معنى لآخر، والخروج من غرض إلى غيره، وهي الاستطراد، والاقتضاب، وحسن المطلب إلا أن بين تلك الفنون تفاوتا، وتفترق عن بعضها في أمور.

الفرق بين حسن التخلص والاستطراد معنى الاستطراد أن يُذكر عند سوق الكلام لغرض ما، يكون له نوع تعلّق به، ولا يكون السّوق لأجله. قال الجرجاني(ت 816هـ.): "الاستطراد سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض"[24]، ومن أمثلته في القرآن قوله **تَعَالَىٰ**: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

[20] ابن العربي، محمد بن عبد الله، **سراج المريدين في سبيل الدين،** ج4، ص144145

[21] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب،** ج10، ص110

[22] ينظر الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن،** ج1، ص4042؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن،** ج3، ص373؛ عقيلة، محمد الحنفي، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن،** ج6، ص308

[23] ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد المصري، **بديع القرآن،** ص168

[24] الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات،** ص20

عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾[البقرة: 268] "فإنه تعالى لما بين فضل الإنفاق في سبيله، وحثّ عليه، حذرنا من الجنوح إلى الشيطان وإلى شرور النفس، وحثنا على الاعتماد على الحق بقوله (ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ) ثم بين بقوله ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: 269] إن ذلك أمر يعرفه المتخصص بالحكمة التي يؤثر الله بها من يشاء، ثم رجع إلى ذكر النفقة بقوله **تَعَالَىٰ**:﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ [البقرة: 270] وبين أن ذلك موضوع عند من لا يسهو أو لا ينسى، وصار ذلك الحكمة مع كونه متعلقا بما تقدم، كالاستطراد والتنويه بذكرها والحث على معرفتها والتخصيص بها"[25]

والفرق بين الاستطراد وحسن التخلص، أن المتكلم في الاستطراد ينتقل في أثناء السياق إلى الكلام المستطرَد دون أن يكون هو المقصود، وإنما يذكره اعتراضا وسط كلامه، ثم يعود مرة أخرى إلى المعنى الذي ساق الكلام لأجله. بينما في التخلص ينتقل المتكلم من معنى لآخر، بأسلوب لطيف دون أن يعود مرة أخرى في كلامه إلى المعنى الأول. يقول السيوطي: "إنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية، وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مرورًا كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضًا"[26]

الفرق بين حسن التخلص والاقتضاب: الاقتضاب لفظ استعمله البلاغيون بمعنى يقابل فصل الخطاب أي "الانتقال من حديث إلى آخر؛ مفصولاً بهذا"[27]، ومعنى الاقتضاب الانقطاع، إذ أن ما قبل (هذا) منقطع معناه عمّا بعدها، فالمتكلم يقطع كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره، ولا يكون الثاني متعلقا بالأول، ويفصل بينهما ب(هذا)؛ تنبيها للسامع وتنشيطا له. مثاله قوله **تَعَالَىٰ**: ﴿ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [الجاثية:11] يقول ابن عاشور (ت1393هـ): "(هَٰذَا هُدٗىۖ) استئناف ابتدائي انتقل به من وصف القرآن في ذاته بأنه منزل من الله وأنه من آيات الله، إلى وصفه بأفضل صفاته بأنه هدى... وجملة(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) عطف على جملة

---

[25] الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ص 528

[26] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص374

[27] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج1، ص48؛ السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص375؛ عقيلة، محمد الحنفي، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ج6، ص310

(هَذَا هُدًى) والمناسبة أن القرآن من جملة آيات الله وأنه مذكّر بها، فالذين كفروا بآيات الله كفروا بالقرآن في عموم الآيات ، وهذا واقع موقع التذييل لما تقدمه ابتداء من قوله تَعَالَى:﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٧][28]، ومنه أيضا قوله تعالى في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩] فإنه لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل، أراد أن يذكر نوعًا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قَالَ تَعَالَى:﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:55] فذكر النار وأهلها قال ابن الأثير: "هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر"[29]، والفرق بين الاقتضاب وحسن التخلص من جهة التلائم بين الطرفين وعدمه، فإن انتقل من الفن الذي شبب[30] الكلام به إلى ما لا يلائمه فهو الاقتضاب[31]، وإن وجد وجه تلائم ومناسبة بينهما فهو حسن التخلص.

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص "في أنه يشوبه شيء من المناسبة كقولك بعد حمد الله (أما بعد) فإنه كان كذا وكذا، فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما، لكنه يشبه التخلص حيث لم يأت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد ارتباط وتعليق بما قبله" [32]

ويقرب من حسن التخلص أيضا حسن المطلب "وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة"[33] كقوله تَعَالَى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:5] فإن سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم يُعد من أجل المطالب، وأسمى الغايات؛ فلما كان كذلك علّم الله ﷻ عباده كيف يسألون الهداية إلى الصراط المستقيم؛ وذلك بما يتقدم بين يدي هذا السؤال من حمده، والثناء عليه، وتمجيده، ثم ما يذكرون من عبوديتهم وتوحيدهم له، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. قال ابن القيم –رحمه الله–: "تقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها"[34]، والفرق بين حسن المطلب وحسن التخلص من جهة أن المتكلم في حسن المطلب يقدم بين يدي

---

[28] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج25، ص334335

[29] السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص375؛ عقيلة، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ج6، ص311

[30] معنى التشبيب في الشِّعْر كلام يبدأ به الشاعر قصيدته وغالبا ما يكون تَغزّلا في محبوبته وذلك في أَوّل القصيدة ثُمَّ يَخرُجُ إلى الغرض الأساسي للقصيدة من المديح ونحوه. انظر الزبيدي، محمد الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ص968

[31] القزويني، محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص393

[32] التفتازاني سعد الدين، **مختصر المعاني**، ص298

[33] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص375

[34] ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج1، ص97

مطلوبه ما يكون وسيلة لتحققه، فالصلة بينهما ظاهرة لا تحتاج إلى مزيد نظر لمعرفتها فإنه يتوسل بالمتقدم منهما لحصول المتأخر. أما في حسن التخلص فلا يكون الارتباط واضحا بين ما انتقل منه وما انتقل إليه، فالتناسب بينهما دقيق غير ظاهر، وهو بحاجة –كما تقدم– إلى تمعن فكر وتأمل.

المطلب الخامس: أهمية حسن التخلص لما كان حسن التخلص أحد الفنون البلاغية وأدقها؛ جُعل وجها من وجوه إعجاز القرآن من جهة "مشاكلة بعض أجزائه بعضا، وحسن ائتلاف أنواعها، والتئام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد ووعيد، وإثبات نبوّة وتوحيد وتقرير، وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك، دون خلل يتخلل فصوله، والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوّته، ولانت جزالته، وقلّ رونقه، وتقلقلت ألفاظه، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل، ولا تقرير حجة، ولا بسط مقال"[35]، ويعدّ حسن التخلص أحد أهم الأساليب في الربط بين مقاصد القرآن ومعانيه المختلفة، وأغراضه المتنوعة، يقول محمد دراز: "انظر إلى حسن التخلص في ربطه بين المقصد القديم، والمقصد الجديد على وجه؛ به يتصلان لفظًا، وبه ينفصلان حكمًا، فهو في جمعها لفظًا كأنه يضع إحدى قدميك عند آخر الماضي، وثانيتهما عند أول المستقبل. ولكنه في تفريقها حكمًا كأنما يحول قدميك جميعًا إلى الأمام"[36]، ولهذا الأسلوب جماله فإن "ما امتاز به أسلوب القرآن من اجتناب سبيل الإطالة والتزام جانب الإيجاز –بقدر ما يتسع له جمال اللغة– قد جعله هو أكثر الكلام افتنانًا، أي أكثره تناولًا لشؤون القول، وأسرعه تنقلًا بينها، من وصف، إلى قصص، إلى تشريع، إلى جدل، إلى ضروب شتى، بل جعل الفن الواحد منه يتشعب إلى فنون، والشأن الواحد فيه تنطوي تحته شؤون وشؤون "[37]

المبحث الثاني: بين يدي سورة الحجر

المطلب الأول: القول في نزول السورة سورة الحجر سورة مكية باتفاق أهل العلم [38]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزلت سورة الحجر بمكة [39]، وورد مثله [40] عن ابن الزبير رضي الله عنه.

---

35 النويري أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب،** ج18، ص202

36 دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم،** ص247

37 **المرجع نفسه،** ص178

38 انظر الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** ص272؛ البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،** ج1، ص159 وج2، ص202؛ الثعلبي، أحمد بن محمد، **الكشف والبيان،** ج5، ص330؛ الماوردي، علي بن محمد، **النكت والعيون،** ج3، ص147

39 النحاس، أحمد بن محمد، **الناسخ والمنسوخ،** ص539؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور،** ج8، ص548 وعزاه للنحاس وابن مردويه؛ الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** ج7، ص249

40 أخرج قوله ابن مردويه كما عند السيوطي في **الدر المنثور في التفسير بالمأثور،** نفس الجزء والصفحة.

واستثنى بعضهم قوله تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:87] فقالوا بمدنيتها [41]، في حين قال آخرون بمكية السورة كلها ولم يستثنِوا من آياتها شيئا [42]؛ حجتهم أن المراد بالسبع المثاني في الآية سورة الفاتحة وهي – على القول الأرجح- سورة مكية؛ فاستدلوا بذلك على أن هذه الآية مكية [43]. وسورة الحجر هي السورة الخامسة عشرة في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فقد نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام. [44] وعدد آياتها تسع وتسعون آية، وكلمها ست مئة وأربعة وخمسون كلمة، وحروفها أَلْفَانِ وَسبع مئة وَأحد وَسَبْعُونَ حرفا. [45]

---

[41] انظر الماوردي، **النكت والعيون،** ج3، ص147؛ الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** ج7، ص249؛ الرازي، **مفاتيح الغيب،** ج19، ص116

[42] انظر ابن قتيبة، **غريب القرآن،** ص235؛ البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،** ج2، ص202؛ ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** ج3، ص349

[43] استثنى السيوطي في **الإتقان في علوم القرآن،** (60/1) آية أخرى فقال: "ينبغي استثناء قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ لما أخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها وأنها في صفوف الصلاة". مشيرا بقوله إلى ما رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْحِجْرِ، ج5، ص296، برقم 3122 عن عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْنَاءَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لِئَلاَّ يَرَاهَا ، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: 24] قال الترمذي: وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الجَوْزَاءِ، نَحْوَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ أَصَحَّ مِنْ حَدِيثِ نُوحٍ. وقال ابو نعيم في حلية الاولياء، ج3، ص81: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، تَفَرَّدَ بِرَفْعِهِ نُوحُ بْنُ قَيْسٍ. وعليه يظهر أن هذا الحديث الذي استند عليه السيوطي في القول بمدنية الآية حديث لا يصح، بل هو حديث منكر فقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج4، ص450 بعد أن أورده: "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره ج2، ص348 عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ} في الصفوف في الصلاة {وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ } فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر، وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس". . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد ج5، ص5: "إسناده ضعيف ومتنه منكر. عمرو بن مالك النكري لا يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان ذكره في الثقات وقال يخطئ ويغرب. وقال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام. وأخطأ الذهبي في الميزان والضعفاء فوثقه مع أنه ذكره في الكاشف ولم يوثقه وإنما اقتصر على قوله وثّق وهو يطلق هذه اللفظة على من انفرد ابن حبان بتوثيقه"

[44] ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل،** ج1، ص415؛ الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب،** ج19، ص116؛ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير،** ج14، ص6

[45] الداني، عثمان بن سعيد، **البيان في عدّ آي القرآن،** ص173؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** ص 272، الثعلبي، أحمد بن محمد، **الكشف والبيان،** ج5، ص330

المطلب الثاني: أسماء السورة ليس لهذه السورة اسم غير الاسم الذي عرفت به في المصحف، وهو (سورة الحِجْر) [46]، وسُمّيت بذلك لورود لفظ الحجر في آياتها، وهو لفظ لم يرد في غيرها من السور، وذلك في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ [الحجر:80]، وأصحاب الحجر هم ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام، كانوا ينزلون الحجر [47] وهو المكان المحجور، أي الممنوع أن يسكنه أحد غيرهم لاختصاصهم به. وقيل سميت ديارهم (الحجر) لأنهم كانوا ينحتون الجبال ويتخذونها بيوتا لهم؛ يتحصنون بها من الزلازل والصواعق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ [الحجر: 82] وهذا ينبئ عما حباهم الله تعالى به من قوة. إلا أن تلك البيوت – لما عصوا رسولهم وحادوا عن منهج الله- لم تمنع عذاب الله تعالى أن يصيبهم ويحل بهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر: 83 – 84]

المطلب الثالث: محور السورة وهدفها المحور الرئيس الذي تدور عليه آيات السورة الحديث عن مصارع الطغاة والمكذبين من الأقوام السابقة الذين خالفوا أمر الله، وعصوا رسله؛ ذلك أن سورة الحجر نزلت في فترة شديدة ومرحلة عصيبة من مراحل الدعوة الإسلامية، إنها المرحلة التي فقد فيها رسول الله ﷺ زوجه خديجة بنت خويلد من كانت له السند والمعين في دعوته، كما فقد فيها عمه أبا طالب من كان يحوطه بحمايته ويمنع عنه أذى المشركين من قريش "لذا اجترأت قريش على رسول الله ﷺ بما لم تكن تجترئ عليه في حياة أبي طالب، واشتد استهزاؤها بدعوته، كما اشتد إيذاؤها لصحابته. فجاء القرآن الكريم يهدد المشركين المكذبين ويتوعدهم ويعرض عليهم مصارع المكذبين الغابرين ومصائرهم ويكشف للرسول ﷺ عن علة تكذيبهم وعنادهم وهي لا تتعلق به ولا بالحق الذي معه، لكنها ترجع إلى العناد الذي لا تجدي معه الآيات البينات" [48]، كما جاءت الآيات تحمل البشرى لرسول الله ﷺ والمؤمنين معه بأن دين الله محفوظ،

---

[46] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص5

[47] الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم مساكن ثمود ما زالت آثارها باقية، وتعرف الآن بمدائن صالح، وهي في طريق القادم من المدينة المنورة إلى بلاد الشام أو العكس، في منطقة العلا بالمملكة العربية السعودية ما بين خيبر وتبوك، وقد مر النبي ﷺ على ديارهم وهو ذاهب إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة. وكان الصحابة قد سبقوه إلى عين تبوك أي عين الحجر وأخذوا من مائها وخلطوا به عجينهم، فأمرهم النبي ﷺ بأن يهرقوا الماء وأن يعلفوا العجين للدواب، وأمرهم أن يشربوا من العين التي كانت تشرب منها الناقة. ويؤخذ منه أن الإنسان إذا مر على ديار قوم معذبين يجب عليه أن يسرع ويخشى من البقاء فيها، كما فعل النبي ﷺ في حجة الوداع لما مر على وادي محسر بين مزدلفة ومنى أسرع ﷺ في مشيته؛ لأن الفيل حبس في ذلك المكان. انظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **المسالك والممالك**، (1/ 97)؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، (2/ 221)

[48] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2121)

وتسليهم عما لاقوه وتحملهم على الثبات والإصرار على الحق، والصدع به في مواجهة الشرك وأهله. "إن محور هذه السورة الأول هو إبراز المصير المخوّف الذي ينتظر الكافرين المكذبين، وحول هذا المحور يدور السياق في عدة جولات متنوعة الموضوع والمجال، ترجع كلها إلى ذلك المحور الأصيل سواء في ذلك القصة، ومشاهد الكون، ومشاهد القيامة، والتوجيهات والتعقيبات التي تسبق القصص وتتخلله وتعقب عليه"[49]

أما من حيث هدفها فإن السورة تهدف إلى إثبات أن هذا القرآن حق لا لبس فيه، والتأكيد على جمعه كل معاني الحق، ووضوحها فيه وضوحا كوضوح آية أصحاب الحجر لكل من شاهدها وسمع بها، يقول البقاعي (ت885 هـ.): "مقصودها – أي السورة– وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الواضحة للحق من غير اختلاف أصلا، وأشكل ما فيها وأمثله في هذا المعنى قصة أصحاب الحجر، فإن وضوح آيتهم عندهم وعند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب لاسيما قريش، وأيضا آيتهم في غاية الإيضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضي للاجتماع على الداعي"[50]، وقال البيلي: "وتجد سورة الحجر ترمى إلى إثبات تنزيل القرآن وترهيب المكذبين به بقصّ أخبار المكذبين قبلهم" [51]

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

مناسبة فاتحة الحجر لخاتمة ما قبلها: سبقت سورة الحجر بسورة إبراهيم، وبالنظر إلى آيات السورتين نجد بينهما تناسبا ظاهرا حيث ختمت سورة إبراهيم بذكر القرآن **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ [إبراهيم:52]، وبذكره افتتحت سورة الحِجْر **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝﴾[الحجر: 1]؛ فكأنهما متصلتان.

وفي سورة إبراهيم وصف تعالى أحوال الكفار يوم القيامة بقوله **تَعَالَىٰ:**﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:49-50] وفي هذه السورة **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: 2] فأخبر أن أولئك المجرمين المذكورين يأتي عليهم زمان يتمنون أن لو كانوا مسلمين، وذلك حين يرون عصاة المؤمنين يخرجون من النار قال أبو جعفر بن الزبير: "لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنته الآي المختتم بها سورة

---

[49] سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، ج6، ص2858

[50] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج4، ص199؛ البقاعي، إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص202

[51] البدوي، أحمد البيلي، **من بلاغة القرآن**، ص178

إبراهيم عليه السلام من لدن قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:42] إلى خاتمتها، أعقب ذلك بقوله:﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[الحجر:2] أي عند مشاهدة تلك الأهوال الجلائل"[52]. وقال السيوطي: "ثم ظهر لي وجه اتصال أول هذه السورة بآخر سورة إبراهيم؛ فإنه تعالى لما قال هناك في وصف يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾[إبراهيم: 48-50] قال هنا: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: 2] فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار، ورأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أُخرجوا منها تمنوا أن لو كانوا في الدنيا مسلمين، وذلك وجه حسن في الربط، مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب، وافتتاح هذه به، وذلك من تشابه الأطراف"[53]

مناسبة خاتمة سورة الحجر لفاتحة سورة النحل بعدها: لما ختم الله تعالى سورة الحجر بإتيان اليقين فقال تعالى:﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:99] "وهو صالح لموت الكل، ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب في الآخرة بعد ما يلقون في الدنيا"[54] افتتح سورة النحل بمثل ذلك قال تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:1] يقول السيوطي: "وجه وضعها بعد سورة الحجر أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه؛ فإن قوله في آخر تلك ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا (أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ)"[55]، وفي خواتيم الحجر أُمر ﷺ بالإعراض عن المشركين قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤]، وفي بداية النحل نزّه الله تعالى نفسه عما نسبه إليه المشركون من الند والشريك قال تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[النحل:1]، في خواتيم الحجر

---

[52] ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص 240

[53] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، ص 99

[54] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (4/ 382)

[55] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، ص101

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:85]، وفي بداية النحل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:3]، في خواتيم الحجر أخبر عن إتيان الساعة وأكد ذلك بمؤكدات ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾ [الحجر: 85]، وفي بداية النحل أخبر عن اقتراب الساعة ودنوها معبرا بصيغة الماضي الدال على تحقق الوقوع قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [النحل:1] ، في أواخر سورة الحجر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [الحجر: ٩٢] ا وفي هذا إشارة إلى حشرهم يوم القيامة، ثم افتتح سورة النحل بقوله تَعَالَىٰ:﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:1] وهو يوم القيامة.

مناسبة فاتحة الحجر لخاتمتها: افتتحت سورة الحجر بما اختتمت به من ذكر القرآن الكريم، ففي أول سورة الحجر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾[الحجر:1]؛ وافتتاحها بالحروف المقطَّعة فيه تعريضٌ بالتحدي بإعجاز القرآن، وتنويه بفضله وعلو شأنه؛ لذا أشار إليه بعد ذلك باسم الإشارة الدال على البعد، وفي خاتمتها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: 91] في أول سورة الحجر جاء الحديث عن استهزاء المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتهمته بالجنون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر:6-7]، وفي آخر السورة بيان كفاية الله لرسوله هؤلاء المستهزئين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦ ﴾ [الحجر:95-96]

المبحث الثالث: أغراض حسن التخلص في سورة الحجر

التدليل: من الأغراض التي يلحظها المتأمل في الانتقال بين مشاهد سورة الحجر إثبات الحقائق بالدلائل والبراهين، ذلك أن الآيات الأولى من سورة الحجر قد بينت موقف المشركين من نبوة الرسول ﷺ، ومقابلتهم إياها بالتكذيب والإنكار، وذكرت ما تعلقوا به من شبهات، وطلبهم إنزال ملائكة يشهدون على صدق نبوته ﷺ ، كما صورت الآيات إصرار المشركين على التكذيب بالرسالة، إصرارا بلغ بهم أنهم لو أُصعدوا إلى السماء، وفُتح لهم بابا يعرجون منه إليها وشاهدوا بأعينهم من دلائل صدقه ﷺ؛ لما قابلوا ذلك إلا بالتشكيك فيما رأوا، ولبقوا مصرين على ما هم عليه من الكفر والتكذيب. ولما كان الإيمان بالرسول،

والتصديق بنبوته إنما هو فرع عن أصل عظيم وهو الإيمان بمرسله وهو الله سبحانه وتعالى حَسُن أن يتخلص في الآيات إلى ذكر الشواهد الكونية الدّالة على عظمة الله وقدرته وعلمه ورحمته؛ فإن تلك الشواهد مفضية إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للناس إلى عبادة ربهم وحده، عبادةً يسعدون بها في الدنيا والآخرة، فبدأ سبحانه بذكر الدلائل السماوية من خلق السماء ورفعها بغير عمد، وجعلها مدارات للكواكب، وتزيينها بالنجوم، وحفظها من كل شيطان رجيم، ثم أعقبها بذكر الدلائل الأرضية من خلق الأرض ومدها، وتثبيتها بالجبال الراسيات، وإرسال الرياح لواقح للسحب، وإنبات النبات فيها بموازين دقيقة، وإنزال المطر بمقادير معينة. إن تلك الشواهد التي أقامها الله سبحانه وتعالى كانت غاية في الوضوح بحيث تصل بالفطر السليمة إلى الإيمان، وتبلغ بمن أراد الحق — بما وهبه الله من قدرة على النظر في ملكوت الله وارتياد مواقع العبرة والعظة من آياته– التصديق بالله وبكل ما جاء من عند الله من الكتب والرسل، فتبين أن استمرار المشركين على الكفر والتكذيب مع وضوح دلائل التوحيد؛ لهو دليل على ما كانوا عليه من العناد والمكابرة، تلك المكابرة التي صرفتهم عن الإيمان، ودفعتهم لتطلب المعجزات، يقول ابن عاشور: "وفيه ضرب من الاستدلال على مكابرتهم؛ فإنهم لو أرادوا الحق لكان لهم في دلالة ما هو منهم غنية عن تطلّب خوارق العادات"[56] فالشواهد الكونية أظهر وأوضح من عروجهم إلى السماء.

هذا وقد قصدت الآيات إلى تقويض بنيان الكفر، ونقض قواعده التي يقوم عليها، ومعلوم أن صرح الكفر قائم على أساسين هما الإشراك بالله، وإنكار البعث؛ وقد تحقق بإقامة تلك الشواهد تقويض أحد الأساسين، وهو الإشراك بالله في ألوهيته؛ لكونها موجبة للتوحيد، مبرهنة له، دالة عليه. لذا جاء التعقيب في الآيات بما ينقض الأساس الثاني لصرح الكفر، فذكرت دلائل إثبات البعث، يقول ابن عاشور: "لما جرى الكلام السابق في شأن تكذيب المشركين برسالة محمد ﷺ وما توركوا به في ذلك، وكان الأصل الأصيل الذي بنوا عليه صرح التكذيب أصلين هما إبطاله إِلَهِيَّةَ أصنامهم، وإثباته البعث، انبرى القرآن يبين لهم دلائل تفرد الله تعالى بِالْإِلَهِيَّةِ، فذكر الدلائل الواضحة من خلق السماوات والأرض، ثم أعقبها بدلائل إمكان البعث من خلق الحياة والموت وانقراض أمم وَخَلْفَهَا بِأُخْرَى فِي قَوْله تَعَالَى:﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ [سُورَة الْحجر: 23]"[57]؛ فإن الذي يحيي الحياة الأولى قادر على الحياة الثانية من باب أولى قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

---

[56] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج14، ص27

[57] **المرجع نفسه**، ج14، ص27

إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:50-51]،كما أن البعث هو مقتضى الحكمة؛ ولازم العدل لذا أكده سبحانه بعد ذكر دلائله بقوله **تَعَالَىٰ**:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ [الحجر: 25]

كذا يظهر حسن التخلص فيما بين المقطعين من تناسب؛ فإنه لما صور غلو المشركين في إنكار النبوة، وذكر في التصوير فتح أبواب السماء، حَسُن في الانتقال إلى ذكر الشواهد الكونية البدء بالدلائل السماوية لما بينهما من تناسب، يقول سيد قطب: "من مشهد المكابرة. وكان ميدانه السماء. إلى معرض الآيات الكونية مبدوءًا بمشهد السماء، فمشهد الأرض، فمشهد الرياح اللواقح بالماء. فمشهد الحياة والموت. فمشهد البعث والحشر. كل أولئك آيات يكابر فيها من لو فتح عليهم باب من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا: إنما سكرت أبصارنا، بل نحن قوم مسحورون"[58]، ومن المناسبات اللطيفة بين المقطعين، أن الله ﷻ كشف في المقطع الأول عن سنته في المكذبين، "وأنه ما من أمة من الأمم بعث إليها رسولا ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى الخير والهدى إلا قابلوا دعوته بالتكذيب والإنكار"[59]، في حين كشف المقطع الثاني عن سنته في خلقه، في السماوات، والأرضين، والرياح، والماء. وحين بين ﷻ في المقطع الأول أنه ما أهلك أهل قرية بعذاب الإبادة والاستئصال إلا وقد حان أجلها الذي كُتب لها، فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد أو يتأخر، قرر هذا المعنى في المقطع الثاني من السورة **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: 23]

التذكير والتحذير: من الأدلة التي أقامها الله ﷻ حجةً على الكافرين، وإبطالا لكفرهم قدرته عز وجل على خلق أجناس العوالم، وتفرده بذلك الخلق، ومن العوالم التي خلقها الله ﷻ الإنسان، فناسب في الآيات الحديث عن خلق آدم عليه السلام وأنه تعالى خلقه من صلصال من حمأ مسنون، ونفخ فيه من روحه، وشرفه بأن أمر ملائكته بالسجود له، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس، امتنع حسدا وكبرا أن يسجد لآدم عليه السلام، حينها تخلصت الآيات إلى التذكير بعداوة الشيطان للبشر ليأخذوا حذرهم منه، ويحاسبوا أنفسهم على ما يخامرهم من وسواسه بما يرديهم؛ فإنهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك، وإنكار البعث، والتكذيب بنبوة الرسول ﷺ إلا باتباعهم خطوات الشيطان، ووقوعهم في حبائله. يقول عبدالكريم الخطيب

---

[58] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2132)

[59] الجزائري، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (3/ 74)

(ت1406هـ): "تذكر الآيات موقف إبليس من ربه سبحانه وتعالى، وتحدّيه لآدم وذريته، بإغوائهم، وإفسادهم، وخروجهم عن طاعة الله، ثم طلبه إلى الله سبحانه أن يؤخره إلى يوم القيامة، حتى تتاح له الفرصة في أبناء آدم، وقد أجابه الله سبحانه وتعالى إلى ذلك، وحذّر أبناء آدم منه، ونبههم إلى هذا العدو المتربص بهم"[60]

المقابلة: حين نبه سبحانه بني آدم وحذرهم عداوة الشيطان، وذكر جزاء أتباعه الغاوين، من صدّق عليهم إبليس ظنه، وأبان مصيرهم، انتقل السياق القرآني- تفننا في الخطاب ومقابلة لجزاء الكافرين- إلى بيان جزاء المتقين واصفا ثوابهم، وما أعدّ لهم من النعيم، وهنا نلمس جمال الانتقال من ذكر الوعيد إلى ذكر الوعد؛ "لأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة"[61]

لقد صورت الآيات الكريمة مشهدين من مشاهد الجزاء الأخروي، وهذان المشهدان متقابلان تقابل تضاد، فإن المشهد الأول يصور ما أعدّه الله للكافرين من العذاب، فقد هيأ لهم النار جزاء، وجعل لتلك النار سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر، وجعل لكل باب من أتباع إبليس جزءأ مقسوما بحسب أعمالهم. أما المشهد الثاني فهو على النقيض تماما، لقد صورت الآيات جزاء المتقين، فهناك الجنات المحتوية على جميع الأشجار، فيها الثمار أينعت، وهناك العيون، يدخل المتقون إلى ذلك النعيم تستقبلهم الملائكة بالبشرى، فيقال لهم حال دخولهم إليها ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ [الحجر: 46] "من الموت والنوم والنصب، واللغوب وانقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه ومن المرض، والحزن والهم وسائر المكدرات، (وَنزعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل وحسد متصافية متحابة[62]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ [الحجر: 47]، ثم أتم الله لهم النعيم بالخلود فيه فما هم منها بمخرجين، وثبت في السنة أن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ -يعني في أهل الجنة- إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ

---

[60] عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن،** ج7، ص231

[61] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** ج9، ص 150؛ الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني،** ج15، ص327

[62] االسعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** ص431

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:43]» [63]، ومن جماليات هذه الآية الكريمة الالتفات، حيث عدل من الغَيْبة في الحديث عن المؤمنين إلى خطابهم بقوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: 46]؛ وذلك احتفاء بهم، واستدعاء لهم من قبل الله ﷻ، ليسمعوا هذا الأمر المسعد لهم من ربّ العالمين [64]. وذكر النار والجنة مما يوجب الرهبة من عذاب الله، والرغبة في ثوابه وجنته لذا ذكر ﷻ ما يوجب ذلك من أوصافه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: 49]، فمتى عرف العبد كمال رحمة الله ومغفرته سعى في الأسباب الموصلة إلى تلك الرحمة، وأقلع عمّا يحول بينه وبينها من الآثام والذنوب، ولم تحمله سعة رحمة الله إلى الأمن من عقابه؛ فكما أن الله تعالى واسع الرحمة فهو شديد العذاب؛ لذا بعد أن ذكر رحمته ومغفرته ذكر شدة عذابه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ [الحجر:50] فلا عذاب كعذاب الله إنه عذاب لا يُقادر قدره ولا يُبلغ كنهه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ [الفجر: ٢٥]، يقول ابن كثير(ت774هـ): "وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف"[65] ، وفي تقديم الرحمة على العذاب في الذكر ما يدل على أن رحمة الله تعالى تسبق غضبه، وخطابهم بلفظ (عبادي) يظهر تغليب جانب الرحمة إذ يشمل هذا اللفظ كل عبد مؤمن سواء أكان طائعا أم عاصيا. ومن اللطائف المودعة في الآية أن الله ﷻ "وصفهم بكونهم عباداً له، ثُمَّ أَثْبَتَ عَقِيبَ ذِكْرِ هَذَا الْوَصْفِ الحكم بِكَوْنِهِ غَفُورًا رَحِيمًا، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنِ اعْتَرَفَ بِالْعُبُودِيَّةِ ظَهَرَ فِي حَقِّهِ كَوْنُ اللَّهِ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِلْعِقَابِ الْأَلِيمِ."[66]

ذكر النموذج: وهو من أساليب القرآن الكريم، ويراد به أن يأتي الحديث في المشهد الأول عن موضوعٍ معين أو يقرر حقيقة من الحقائق، ثم يذكر في المشهد الثاني نموذجا أو أكثر متصلا بذلك الموضوع أو تلك الحقيقة؛ بهدف التأكيد، أو تثبيت المعنى، أو الاستدلال على صدق ما جاء في آيات المشهد الأول ونحو ذلك من الأغراض التي يريد القرآن تحقيقها من خلال ذكر النموذج. ويظهر هذا الأسلوب في الانتقال بين مشاهد سورة الحجر؛ فإنه لما ذكرت الآيات استحقاق الكافرين للعذاب والمتقين للنعيم، وقررت ذلك

---

63 النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم 2837، ج4، ص2182.

64 عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج7، ص240

65 **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص463

66 الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج19، ص149

ومكنته في النفوس بقوله تَعَالَىٰ:﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50]، تخلصت إلى ذكر نموذج دنيوي على رحمة الله في قصة إبراهيم عليه السلام، وذكرت نماذج دنيوية على تعذيبه في قصة لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر؛ وذلك "ترغيبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأولياء، وتحذيرا من المعصية المستتبعة لدركات الأشقياء؛ ولما في قصة لوط من ذكر إنجاء المؤمنين وإهلاك الظالمين، وكل ذلك يقوّي ما ذكر من أنه غفور رحيم للمؤمنين، وأن عذابه عذاب أليم للكافرين."[67]، يقول الرازي: "اعْلَمْ أنّه تعالى لما بالغ في تقرير أمر النبوة ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد، ثم ذكر عَقِيبَهُ أحوال القيامة وصفة الأشقياء والسعداء، أتبعه بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ليكون سماعها مُرَغِّبًا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأنبياء، ومحذرا عن المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء"[68]، ولعل مما يلفت الانتباه ذكر قصتي أصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، على الرغم من عدم تعلقها بما قبلها من القصص، إلا أنها ذُكِرت من باب التكميل والإدماج [69]، وبجامع الموعظة في كل منها، والاقتصار عليهما دون بقية الأمم ممن أهلكهم الله تعالى بسبب طغيانهم وتكذيبهم لرسلهم وكفرهم بما كانوا يدعونهم إليه لِأَنَّهُمْ مِثْلُ قَوْمِ لُوطٍ فِي مَوْعِظَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ولِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يُشَاهِدُونَ دِيَارَ هَذِهِ الْأُمَمِ الثَّلَاثِ. [70]

وأشار بعض المفسرين إلى علاقة أخرى بين المشهدين، وهي أنه بعد أن بين ﷻ سنته في أوليائه وأعدائه في الآخرة، دلهم -بطريق الإخبار- على سنته فيهم في الدنيا، يقول سعيد حوى (ت 1409 هـ): قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر:٥١] " أي وأخبر أمتك عن أضياف إبراهيم، لأن هذا الإخبار يدلهم على سنة الله في أوليائه، وعلى سنته في أعدائه في الدنيا بعد أن عرفوا من قصة آدم عليه السلام ونهايتها سنته في أوليائه وأعدائه في الآخرة"[71]، إن سياق هذه الأخبار التي لا يمكن العلم بها إلا عن طريق الوحي الإلهي فيه تقرير لنبوة الرسول ﷺ التي كذب بها المشركون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ

---

67 النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج4، ص227

68 الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج19، ص150

69 الإدماج هو أن يدمج المتكلم غرضًا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني، ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده. ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ص449

70 انظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج14، ص7071

71 سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج6، ص2887

إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ [هود:49] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: 26-27]، كما أن في هذه الآيات الرد على المشركين الذين اقترحوا إنزال الملائكة في أول السورة، فبين لهم في هذا الموطن إن الله تعالى ينزل ملائكته؛ إما لتكريم رسول أو لتعذيب المكذبين.[72] وفي هذا تهديد وتحذير لهم أن يحلّ بهم من العذاب ما حلّ بمن قبلهم فليكن لهم فيمن مضى معتبر.

ثم عقّب سبحانه -تعليلا لتعذيبه- بقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر: 85] فبين الله أن استئصال أهل الضلال ممّن كفروا بالله تعالى وآذوا رسله إنما هو سنته في خلقه، فإنه لم يخلق السماوات والأرض عبثا أو لهوا إنما خلقهم بالحق، يقول الطبري (ت310هـ) عند تفسير قوله ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي إلا بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور، وإنما يعني -تعالى ذكره- بذلك أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصّ قَصَصَهَا في هذه السورة، وقصص إهلاكه إياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به، فيعذّبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحقّ والعدل) [73]

التسلية: سبق أن بينا أن سورة الحجر سورة مكية، نزلت على الرسول ﷺ في العهد المكي من الدعوة الإسلامية؛ ومعلوم ما لاقى النبي ﷺ في تلك الفترة من الأذى والتكذيب، وما رماه به مشركو مكة من التهم الباطلة، وإبائهم اتباع الدين الذي جاء به ومحاربته بكل ما أوتوا من قوة؛ لذا جاءت الآيات بما يسلي رسول الله ﷺ، ويثبته ليتمكن من الاستمرار في الدعوة وتحمل الأذى في سبيلها. فإنه لما فرغ سبحانه وتعالى من ذكر القصص التي بينت سنته في الخلق شرع في تسلية رسوله ﷺ ببيان أن الساعة آتية، والساعة هي يوم القيامة الذي هو محل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ [طه:١٥] وهذا يشير إلى أنه سبحانه وتعالى الموكل بمجازاة العباد سينتقم في ذلك اليوم لرسول الله ﷺ من أعدائه ويجازيهم على تكذيبهم له، وإنكارهم لنبوته، كما سيجازي رسول الله ﷺ على إحسانه وصبره على أذاهم، لذا رُغِّب ﷺ في مقابلة أذاهم وما

---

[72] انظر سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج6، ص2887

[73] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج17، ص127

يصدر عنهم من السوء بالصفح الجميل. يقول النيسابوري[74]: "لما فرغ من القصص قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ويمكن أن يقال في وجه النظم إن هذا ابتداء شروع في تسلية النبي ﷺ وتصبيره على أذيات قومه بعد اقتصاص أحوال الأمم السالفة ومعاملاتهم مع أنبيائهم، ويؤيد هذا النظم قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ معناه أن الله سينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم؛ فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله إهمال أمرك؟ ولما صبره على أذى قومه رغبه في الصفح فقال ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أي فأعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء""[75]، وقال الخطيب: "وفى قوله سبحانه:﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ عزاء للنبي ﷺ، ومواساة له، وربط على قلبه، لما يلقى من عناد المعاندين، وسفاهة السفهاء من قومه فالساعة آتية، وفيها يسوّى حساب هؤلاء الضالين، فليلق النبيّ ﷺ سفاهاتهم وحماقاتهم بالصفح الجميل، وليدعهم ليوم الفصل ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: 13-14]"[76] ثم لما صبره على أذى قومه اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خُصّ بها رسول الله ﷺ ليكون ذلك الإنعام دافعا له إلى ما رُغّب فيه من الصفح والتجاوز عنهم، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، يقول النيسابوري: "حثه على الصفح والتجاوز بذكر النعم العظام التي خصه بها"[77]

"إن مجيء قوله **تَعَالَىٰ**:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:87] بعد ذكر خلق السماوات والأرض بالحق، والتأكيد على إتيان الساعة وذلك في قوله **تَعَالَىٰ**:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[الحجر:85] "يشي بالاتصال بين هذا القرآن والحق الأصيل الذي يقوم به الوجود وتقوم عليه

---

[74] الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الاعرج، عالم مفسر. أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. من مصنفاته غرائب القرآن ورغائب الفرقان ويعرف بتفسير النيسابوري، أقاف القرآن، لب التأويل، شرح الشافية في الصرف، وغيرها. توفي بعد 850هـ. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** ج1، ص 535؛ الأدنروي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين،** ص420؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام،** ج2، ص216

[75] النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** ج4، ص232

[76] الخطيب عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن،** ج7، ص259

[77] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** ج4، ص232

الساعة. فهذا القرآن من عناصر ذلك الحق، وهو يكشف سنن الخالق ويوجه القلوب إليها، ويكشف آياته في الأنفس والآفاق ويستجيش القلوب لإدراكها، ويكشف أسباب الهدى والضلال، ومصير الحق والباطل، والخير، والشر والصلاح والطلاح. فهو من مادة ذلك الحق ومن وسائل كشفه وتبيانه، وهو أصيل أصالة ذلك الحق الذي خلقت به السماوات والأرض. ثابت ثبوت نواميس الوجود، مرتبط بتلك النواميس. وليس أمرا عارضا ولا ذاهبا. إنما يبقى مؤثرا في توجيه الحياة وتصريفها وتحويلها، مهما يكذب المكذبون، ويستهزئ المستهزئون، ويحاول المبطلون، الذين يعتمدون على الباطل، وهو عنصر طارئ زائل في هذا الوجود. ومن ثم فإن من أوتي هذه المثاني وهذا القرآن العظيم، المستمد من الحق الأكبر، المتصل بالحق الأكبر لا يمتد بصره ولا تتحرك نفسه لشيء زائل في هذه الأرض من أعراضها الزوائل. ولا يحفل مصير أهل الضلال، ولا يهمه شأنهم في كثير ولا قليل، إنما يمضي في طريقه مع الحق الأصيل) [78]

التهديد: تخلصت الآيات من تسلية النبي ﷺ إلى تهديد الذين يحاربون دعوة الحق، ويصفون القرآن بأوصاف لا تليق به، "فأنذرتهم أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ كَمَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهَا، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالِانْتِقَامِ"[79] **قَالَ تَعَالَى:**﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 89-93]، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وقل يا محمد للمشركين إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم، (كما أنزلنا على المقتسمين) يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن، فجعلوه عِضين"[80]، قال ابن عاشور: "التشبيه الذي أفاده الكاف تشبيه بالذي أنزل على المقتسمين. و (ما) هي المشبه به. وأما المشبه فيجوز أن يكون الإيتاءَ المأخوذ من فعل ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ أي إيتاء كالذي أنزلنا أو كإنزالنا على المقتسمين. شُبّه إيتاء بعض القرآن للنبي ﷺ بما أنزل عليه في شأن المقتسمين، أي أنزلناه على رسل المقتسمين. ويجوز أن يكون المشبّهُ الإنذارَ المأخوذَ من قوله **تَعَالَى:** ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الإنذار بالعقاب من قوله **تَعَالَى:**﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93] ، وأسلوب الكلام على

---

78 سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2154؛ سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج6، ص2900

79 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص470

80 الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج17، ص142

هذين الوجهين أسلوب تخلّص من تسلية النبي ﷺ إلى وعيد المشركين الطاعنين في القرآن بأنهم سيحاسبون على مطاعنه) "[81]، ومن اللطائف التي يلتفت إليها في هذا المشهد من السورة الكريمة أن الله بعد أن بين موقف المشركين من القرآن العظيم وذلك في قوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر:90-91] خاطب رسوله ﷺ بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: 94]؛ للدلالة على "أن داء الأمم السابقة في تفريق الكتب لا يداويه إلا جهر أهل الحق بالحق كله" [82] . ثم لما كان الوعيد مؤذناً بإمهالهم قليلاً كما دلّ عليه حرف التنفيس في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴿٩٦﴾﴾ (الحجر:96) طمأن الله نبيه ﷺ بأنه مطّلع على تحرّجه من أذاهم وبهتانهم من أقوال الشرك وأقوال الاستهزاء [83]، وأخبره بأنه محل عناية الله ﷻ، ووجهه إلى أن يقابل مطاعنهم فيه وفي القرآن الكريم بأمور أربعة وذلك كشفا لما يعتريه بسبب أقوالهم من انقباض وضيق صدر قال تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر: 97-99)

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والشكر له الذي أنعم بإكمال هذا البحث الذي توصلت من خلاله إلى عدة نتائج وهي:1- يعدّ حسن التخلص من فنون الكلام البلاغية، وهو موجود في القرآن الكريم.

2- يرتبط حسن التخلص ارتباطا وثيقا بعلم المناسبات، وهو منه بمنزلة الفرع من الأصل.

3- حسن التخلص أحد أهم الأساليب في الربط بين مقاصد القرآن الكريم.

4- يظهر حسن التخلص في سورة الحجر في الانتقال بين مشاهد السورة لإثبات الحقائق بالدلائل والبراهين.

5- من أغراض حسن التخلص في سورة الحجر إقامة الحجة على الكافرين.

6- ذكر النموذج أسلوباً من أساليب القرآن الكريم للتخلص من غرض إلى آخر.

ومن التوصيات التي أوصي بها:

---

[81] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج14، ص84

[82] سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج6، ص2898

[83] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص90 91

1-العناية بدراسة السور القرآنية والوقوف على الأسرار البلاغية للتخلص بين مشاهدها.

2- المقارنة بين أغراض الانتقال في السور المكية والسور المدنية

ثبت بأهم المصادر

1. Ibn al-Atheer, Nasrallah bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim, "Al-Mathal al-Sā'ir fī Adab al-Kātib wa al-Shā'ir", verified by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: Modern Library for Printing and Publishing, (n. ed.), 1995 AD.

2. Ahmed Matlab, "Mu'jam al-Naqd al 'Arabī al-Qadīm", House of Cultural Affairs, (n. ed.), 1989 AD.

3. Ibn Abi al-Asba' al-Masry, "Badī' al-Qur'an, verified by: Hufni Muhammad Sharaf, Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, (n. ed.), (n. d.(.

4. Al-Asbahani, Ahmed bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq, "Hilyat al-Awliyā' wa Tabaqāt al-Asfiā'", Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (n. ed.), 1409 AH.

5. Mahmud bin Abd Allah al-Husayni al-Alusi, "Rūh al-Ma'āni fī Tafsīr al-Qur'an al-'Adhīm wa as-Sab' al-Mathanī", investigated by Ali Abd al Bari Attiyah, Dar al Kutub al Ilmiyya: Beirut, 1st Ed., 1415H .

6. Ibrahim bin 'Umar bin Hassan al-Rabat al-Buqa'i, "Nadhm ad-Durar fī Tanāsub al-Ayāt wa al-Siwar", investigated by Abd al-Razzaq Ghaleb al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya: Beirut, (n. Ed.), 1415H 1995G.

7. Al-Bakri, Abdullah bin Abdulaziz bin Muhammad Al-Andalusi, "Al-Masālik wa al Mamālik", Dar Al-Gharb Al-Islami, (n. ed.), 1992 AD.

8. Al-Baili, Ahmed Ahmed Abdullah Al-Badawi, "Min Balāghat al-Qur'an", Cairo: Nahdet Misr, (n. ed.), 2005 AD.

.9 Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa, "Al-Jāmi' al-Sahīh (Sunan Al-Tirmidhi)", verified by Ahmed Shaker et al, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, (n. ed.), (n. d.).

.10 Al-Taftazani Sād Al-Din, "Mukhtasar al-Ma'ānī", Beirut: Dar Al-Fikr, 1st ed., 1411 AH.

.11 Al-Jarjani, Ali bin Muhammad Al-Sharif, "Al-Ta'rīfāt", verified by: A group of scholars, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st, 1403H - 1983AD.

.12 Al-Gawhari, Ismail bin Hammad Al-Farabi, "Al Sihāh Tāj al-Lughah wa Sihāh al-Arabiyya", verified by: Ahmed Abdel-Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm for Millions, 4th edition, 1407H - 1987 AD.

.13 Habanka, Abd al-Rahman bin Hassan, "Al-Balāghah al-'Arabiyyah", Damascus: Dar al-Qalam, (n. ed.), 1416H.

.14 Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah Al-Roumi, "Mu'jam al-Udabā'", verified by: Ihsan Abbas, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st ed., 1414H - 1993 AD.

.15 Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah, "Mu'jam al-Buldān", Beirut: Dar Al-Fikr, (n. ed.), (n. d.(.

.16 Al-Khatib Al-Qazwini, Muhammad bin Abdul Rahman, "Al-Idāh fī 'Ulūm al-Balāghah", verified by: Dr. Muhammad Khafaji et al, Cairo: Dar al-Kitab al-Masry, 6th edition, 1420H.

.17 Abd al-Karim al-Khatib,"Al-Tafsīr al-Qur'anī li al-Qur'an", Dar al-Fikr al-Arabi: Cairo, (n. Ed.) (n. d).

.18 Al-Dani, Othman bin Saeed bin Othman bin Omar, "Al-Bayān fī 'Add Āyāt al-Qur'an", verified by: Ghanem Qaddouri Al-Hamad, Kuwait: Center for Manuscripts and Heritage, 1st ed., 1414H - 1994 AD.

.19 Diraz Muhammad bin Abdullah, "Al Naba' al 'Adhīm, Nadhrāt Jadīdah fī al Qur'an al Karīm", Beirut: Dar Al-Qalam for Publishing and Distribution, (n. ed.), 1426H - 2005 AD.

.20 Al-Razi, Muhammad bin Omar bin Al-Hussein Al-Shafi'i, "Mafātīh al-Ghayb", Beirut: House of Revival of Arab Heritage, 3rd Edition, 1420H.

.21 Al-Ragheb Al-Asfahani, Al-Hussein bin Muhammad, "Tafsīr Al-Rāghib Al-Asfahānī", verified by Dr. Mohamed Abdel Aziz Bassiouni, Tanta: Faculty of Arts - Tanta University, 1st ed., 1420H. - 1999 A.D.

.22 Ibn Rashiq, Al-Hasan Al-Qayrawani Al-Azdi, "Al 'Umda fī Mahāsin al Shi'r wa Adābih", verified by: Muhammad Muhi Al-Din, Dar Al-Jeel, 5th edition, 1401H - 1981 AD.

.23 Al-Murtada Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul-Razzaq Al-Husseini, nicknamed Murtada, "Tāj al 'Arūs min Jawāhir al Qāmūs", verified by: a group of annotators, Dar Al-Hedaya, (n. ed.), (n. d.).

.24 Ibn Al-Zubayr, Ahmed bin Ibrahim Al-Thaqafi Al-Gharnati, "Al-Burhān fī Tanāsub Suwar al-Qur'an", verified by: Muhammad Shabani, Morocco: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, (n. ed.), 1410H - 1990 AD.

.25 Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahader, "Al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'an", verified by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut: House of Revival of Arabic Books - Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners, 1st, 1376H-1957 AD.

.26 Al-Sijlmassi, Al-Qasim bin Muhammad, "Al-Munzi' al-Badī' fī Tajnīs Asālīb al-Badī'", verified by Allal Al-Ghazi, Riyadh: Al-Maaref Library, 1st ed., 1401H.

.27 Saeed Hawwa, "Al-Asās fī al-Tafsīr", Cairo: Dar al-Salām, 6th edition, 1424H.

.28 Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, “Asrār Tartīb al-Qur’an”, Dar Al-Fadilah for Publishing and Distribution, (n. ed.), (n. d.).

.29 Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, “Al-Itqān fī ‘Ulūm al-Qur’an”, verified by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo: The Egyptian General Book Authority, (n. ed.), 1394H - 1974.

.30 Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, “Al-Durr al-Manthur fī al-Tafsīr bi al-Ma’thūr”, verified by: Hajar Center for Research, Egypt: Dar Hajar, (n. ed.), 1424H - 2003.

.31 Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, “Sharh ‘Uqūd al-Jumān”, Egypt: Mustafa Al-Halabi and Sons Press, (n. ed.), 1358H.

.32 Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, “Mu‘tarak al-Aqrān fī I‘jāz al-Qur’an”, Beirut: Dar al-Kutub lmiyya, 1st ed., 1408H - 1988.

.33 Al-Taher bin Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher Al-Tunisi, “Al-Tahrīr wa al-Tanwīr”, Tunis: Dar Sahnoun for Publishing and Distribution, (n. ed.), 1997.

.34 Muhammad bin Jarir bin Yazid, Abu Jaafar al-Tabari, "Jami‘ al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'an", investigated by Ahmad Muhammad Shaker, The Risalah Foundation: Damascus, 1st Ed., 1420H – 2000

.35 Ibn al-Arabi, Muhammad bin Abdullah, “Sirāj al-Murīdin fi Sabīl al-Dīn”, its text was justified, its hadiths were authenticated, and its words were documented by Dr. Abdullah Al-Burati, Beirut: Dar Al-Hadith Al-Kattaniya, 1, 1438H - 2017.

.36 Al-Askari, Al-Hasan bin Abdullah, “Kitāb al-Sinā‘atayn” verified by: Mufid Qumeiha, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st ed., 1401H.

.37 Ibn Attia al-Andalusi, Abd al-Haq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman, “Al-Muharrir al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz”, verified by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1422H.

.38 Ibn Aqeela, Muhammad bin Ahmed bin Saeed al-Hanafi, “Al-Ziyadah fī ‘Ulūm al-Qur’an”, verified by: The origin of this book is a group of researchers: Muhammad Safā Haqqi et al. Emirates: Research and Studies Center, University of Sharjah, 1st ed., 1427H.

.39 Al-Emadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, “Irshād al-‘Aql al-Salīm Ilā/ Mazāya al Kitāb al-Karīm”, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, (n. ed.), (n. d.).

.40 Al-Fayrouzabadi, Muhammad bin Yaqoub, “Basā’ir Dhawī al-Tamīīz fī Latā’if al-Kitāb al-‘Azīz”, verified by: Muhammad al-Najjar, Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage, (n. ed.), (n. d.).

.41 Ibn Qutaiba, Abdullah bin Muslim al-Dinori, “Gharīb al Qur’an”, verified by: Ahmed Saqr, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (n. ed.), 1398H - 1976.

.42 Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub, “Madārij al-Sālikīn bayn Manāzil Iyyaka Na‘bud wa Iyyaka Nasta‘īn”, verified by: Muhammad al-Mu’tasim Billah al-Baghdadi, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 3rd edition, 1416H – 1996.

.43 Ismail bin ‘Umar bin Kathir al Qurashi al Basri, then al-Dimashqi,"Tafsīr al-Qur’an al-‘Adhīm", by Sami bin Muhammad Salama, Dar Taibah: (n. s), 2nd Ed., 1420H – 1999.

.44 Ali bin Muhammad bin Muhammad al Basri al Baghdadi, known as al Mawardi,"An Nikāt wa al ‘Uyūn", investigated by Sayyid bin Abd al Maqsoud bin Abd al Rahim, Dar Al Kutub Al Ilmiyya: Beirut, (n. Ed.), (n. d).

.45 Ibn Al-Moataz, Abdullah bin Muhammad, “Al Badī‘”, verified by: Irfan Matarji, Beirut: Cultural Library Foundation, 1st ed., 1422H.